

المحاضرة الرابعة :التنظيمات الاقتصادية – المؤسسة الصناعية كنموذج

مقدمة عامة حول التنظيمات الاقتصادية(Economic Organizations)

تُعتبر التنظيمات الاقتصادية من أهم مظاهر التنظيم الاجتماعي الحديث، إذ تُجسّد البنية التي تُنظّم من خلالها الأنشطة الإنتاجية والتجارية والخدمية داخل المجتمع. ظهرت هذه التنظيمات مع الثورة الصناعية (Industrial Revolution) التي غيّرت طبيعة الاقتصاد العالمي، فانتقلت المجتمعات من الإنتاج التقليدي إلى الإنتاج المنظم والمؤسّساتي. وبذلك أصبحت المؤسسة الصناعية (Industrial Enterprise) الفاعل الأساسي في تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية، لأنها تجمع بين رأس المال والعمل والمعرفة ضمن إطار تنظيمي منسّق.

لقد تطورت التنظيمات الاقتصادية بفضل الفكر الإداري الحديث، الذي سعى إلى تحقيق أقصى قدر من الكفاءة (Efficiency) والفعالية (Effectiveness). فمع ظهور مبادئ الإدارة العلمية عند تايلور (Taylor) والمدرسة الكلاسيكية، أصبحت المؤسسة الصناعية نظامًا يعتمد على التنظيم الدقيق للمهام وتقسيم العمل وتحسين الأداء الإنتاجي. وقد شكّل هذا التحول بداية ظهور الإدارة كـ

كمهنة	مستقلة	داخل	البنية	الصناعية.
-------	--------	------	--------	-----------

في السياق الجزائري، ارتبطت التنظيمات الاقتصادية بالنموذج الاشتراكي بعد الاستقلال، ثم تحولت تدريجيًا إلى نموذج السوق المفتوح منذ تسعينيات القرن الماضي. ورغم التحديات، استطاعت الجزائر بناء قطاع صناعي وطني يضم أكثر من 23 ألف مؤسسة. ويُعدّ فهم تنظيم هذه المؤسسات أمرًا ضروريًا لتقييم كفاءتها ودورها في تحقيق أهداف التنمية المستدامة.

مفهوم المؤسسة الصناعية ووظائفها الأساسية (Industrial Enterprise and Its Functions)

تُعرّف المؤسسة الصناعية بأنها "وحدة اقتصادية منظمة تهدف إلى إنتاج سلع مادية قابلة للتبادل في السوق بهدف تحقيق الربح والاستمرار". وهي تجمع بين الموارد المادية (Material Resources) والبشرية (Human Resources) والمالية (Financial Resources) ضمن هيكل تنظيمي يضمن التنسيق بين مختلف الأنشطة. ويُعد الإنتاج (Production) والتسويق (Marketing) والتمويل (Finance) من أهم ركائزها الأساسية.

تؤدي المؤسسة الصناعية وظائف متكاملة تشمل: إنتاج السلع والخدمات، توزيعها في السوق، إدارة رأس المال، والبحث والتطوير. (Research and Development) فكل وظيفة ترتبط بالأخرى ضمن نظام إداري يعتمد على المعلومات والتحليل المستمر للأداء. وتُشير دراسة للبنك الدولي (World Bank, 2022) إلى أن المؤسسات التي تستثمر في البحث والتطوير تزيد إنتاجيتها بنسبة 28% مقارنة بالمؤسسات التقليدية.

في الجزائر، تلعب الصناعات التحويلية (Manufacturing Industries) دورًا متزايد الأهمية، حيث ساهمت بـ 6.4% من الناتج المحلي الإجمالي سنة 2023 (ONS, 2024) وتشمل قطاعات رئيسية مثل الصناعات الغذائية، الميكانيكية، والبتروكيميائية. وتُعتبر شركة "سوناطراك" نموذجًا للمؤسسة الصناعية العملاقة التي تجمع بين الأنشطة الإنتاجية والتجارية والبحثية داخل إطار تنظيمي معقد وفعال.

الهياكل التنظيمية في المؤسسات الصناعية (Organizational Structures in Industry)

تعتمد المؤسسات الصناعية على هياكل تنظيمية محددة لضمان توزيع المهام والمسؤوليات بكفاءة. ويُعدّ الهيكل الوظيفي (Functional Structure) أكثرها شيوعًا، إذ يقسم العمل حسب

الوظائف الأساسية كالإنتاج، التسويق، المالية، والموارد البشرية. يُحقق هذا النوع من التنظيم وضوحًا في المسؤوليات، لكنه قد يحدّ من التواصل الأفقي بين الأقسام.

أما الهيكل المصفوفي (Matrix Structure)، فيدمج بين التنظيم الوظيفي وتنظيم المشاريع، ما يمنح المؤسسة مرونة أكبر للتكيف مع المتغيرات البيئية. تشير الدراسات إلى أن المؤسسات الصناعية التي تعتمد هذا النموذج تزيد كفاءتها التشغيلية بنسبة 21%. هذا الهيكل يُستخدم عادة في الصناعات الكبرى التي تعتمد على مشاريع معقدة كقطاع الطاقة والميكانيك.

في المقابل، بدأت العديد من المؤسسات في تبني الهياكل الشبكية (Network Structures) القائمة على التعاون مع شركاء خارجيين ومتعهدين من الباطن. يُتيح هذا النموذج خفض التكاليف وزيادة القدرة على الابتكار. في الجزائر، تبنت شركات مثل سيفيتال (Cevital) وسونلغاز (Sonelgaz) أنماطًا تنظيمية هجينة تجمع بين البنية المركزية والمرونة التشغيلية لمواجهة متطلبات السوق المحلي والعالمي.

الاتصال التنظيمي داخل المؤسسة الصناعية (Organizational Communication)

يُعتبر الاتصال التنظيمي (Organizational Communication) العمود الفقري لنجاح المؤسسة الصناعية، لأنه يضمن تدفق المعلومات بين مختلف المستويات الإدارية والإنتاجية. فالاتصال الفعال يُعزز التنسيق بين الفرق ويقلل الأخطاء في العمليات الصناعية. وتشير دراسة Harvard Business Review (2021) إلى أن المؤسسات التي تعتمد قنوات اتصال رقمية فعّالة تحقق زيادة في الإنتاجية بنسبة 25%.

يأخذ الاتصال داخل المؤسسات الصناعية أشكالًا متعددة : عمودية (Vertical) بين الإدارة والعاملين، وأفقية (Horizontal) بين الأقسام، وشبه رسمية (Informal) بين الأفراد. إن توازن هذه

الأنواع يُحقق الانسجام التنظيمي (Organizational Cohesion) ويُساهم في خلق ثقافة عمل إيجابية. المؤسسات الناجحة هي التي تدير الاتصال كاستراتيجية وليس كمجرد أداة.

في الجزائر، شرعت مؤسسات صناعية عدة في اعتماد أنظمة اتصال رقمية قائمة على تكنولوجيا ERP (Enterprise Resource Planning) لدمج الوظائف الداخلية. وقد ساهم هذا التحول في تخفيض نسبة الأخطاء الإدارية بنحو 30% وتحسين سرعة اتخاذ القرار. ومن الأمثلة الرائدة تجربة مجمع سوناطراك الذي أطلق شبكة داخلية مؤمنة تربط أكثر من 250 موقعًا إنتاجيًا عبر التراب الوطني.

المؤسسة الصناعية والتنمية الاقتصادية (Industrial Enterprise and Development)

تُعد المؤسسات الصناعية محركًا رئيسيًا للتنمية الاقتصادية (Economic Development) في مختلف الدول. فهي تخلق الثروة، وتوفر فرص العمل، وتعزز القدرات التكنولوجية للدولة. فحسب البنك الدولي، كل زيادة بنسبة 1% في الإنتاج الصناعي ترفع الناتج المحلي الإجمالي بنسبة 0.4% لذا تُعتبر الصناعة العمود الفقري للنمو الاقتصادي المستدام.

على الصعيد الاجتماعي، تسهم المؤسسات الصناعية في استقرار المجتمعات من خلال خلق وظائف دائمة وتحسين مستوى المعيشة. كما أنها تُشجع على الابتكار المحلي (Local Innovation) وتطوير المهارات التقنية (Technical Skills) لدى الشباب. في هذا الإطار، أطلقت الجزائر سنة 2021 برنامج "صناعة المستقبل" لتشجيع المقاولات الصناعية الصغيرة والمتوسطة.

كما تلعب المؤسسات الصناعية دورًا بيئيًا متزايد الأهمية في إطار التحول نحو الاقتصاد الأخضر (Green Economy). فقد التزمت الجزائر ضمن خطتها لعام 2030 بخفض الانبعاثات الصناعية

بنسبة 20% وتُعتبر مؤسسات القطاع الطاقوي في مقدمة الفاعلين في هذا الاتجاه من خلال مشاريع التحول الطاقوي واستخدام التقنيات النظيفة.